هو العلي

الإمام الصادق عليه السلام نموذج مثل للبلد الطيّب

بحث مختصر من «معرفة الإمام»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

@MadrastAlwahy

أعوذ باللـه من الشيطان الرجيم

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد

وعلى آله الطيبين الطاهرين

واللعنة على أعدائهم أجمعين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ والذي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ}.[1]

وقال سبحانه قبل هذه الآية:

[1] الأعراف: ٧، من السورة ٥٨، الآية

{وَ هُوَ الذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حتى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}.

تفسير العلّامة الطباطبائيّ آية: {والبلد الطيّب...}

قال العلّامة آية الله الطباطبائيّ أعلى الله درجته في تفسير هذه الآيات: وفي الآية {وَهُوَ الذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ} إلى آخر الآية بيان لربوبيّته تعالى من جهة العود، كما أنّ في قوله: {إن رَبَّكُمُ الله}[1] بيانًا لها من جهة البدء. وقوله: {بُشْرًا}، وأصله البُشُر بضمّتين جمع بشير كالنُذُر جمع نذير. والمراد بالرحمة المطر. وقوله: {بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}، أي: قدّام المطر،

---

[1] من الآيتين اللتين تسمّى آية السخرة، مع الآيتين اللتين فيما يأتي الآية {إن رَبَّكُمُ الله} التي تسمّى آية الكرسيّ {إن رَبَّكُمُ الله الذي خَلَقَ} -وفي قراءتها ثواب كثير كآية الكرسيّ- وهي قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (الآيات ٥٤ إلى ٥٦. من السورة ٧: الأعراف).

وفيه استعارة تخييلية بتشبيه المطر بالإنسان الغائب الذي ينتظره أهله فيقدم ويبين يديه ببشير يبشّر بقدومه.

والإقلال: الحَمل، والسحاب والسَّحابة، الغمام والغمامة، كتَمْر وتَمْرَة. وكون السحاب ثِقالًا باعتبار حمله ثِقل الماء، وقوله: {لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ} أي: لأجل بلد ميّت، أو إلى بلدٍ ميّت. والباقي ظاهر (ولا يحتاج إلى تفسير).

والآية تحتجّ بإحياء الأرض على جواز إحياء الموتى، لأنّهما من نوعٍ واحدٍ وحُكْمُ الأمثال فيما يَجُوزُ ومَا لَا يَجُوزُ وَاحِدٌ[1]. وليس الأحياء الذين عَرَضَ لهم عارضُ الموت بمنعدمين من أصلهم، فإنَّ أنفُسَهم وأرواحهم باقيةٌ محفوظةٌ وإنْ تغيّرت أبدانهم، كما أنّ النبات يتغيّر ما على وجه الأرض منها ويبقى ما في أصله من الروح الحيّة على انعزال من النشوء والنماء، ثمّ تعود إليه حياته الفعّالة. كذلك يُخرج الله الموتى.

[1] هذه العبارة قاعدة فلسفية مفادها أنّ الأشياء المتماثلة المتشابهة واحدة في الأحكام المثبتة والمنفية المترتّبة عليها.

إحياء الموتى في الحشر الكلّي يوم البعث إلّا كإحياء الأرض الميتة في بعثه الجزئي العائد كلّ سنة. وللكلام ذيل سيُوافيك في محلٍّ آخر إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} إلى آخر الآية.

النَّكِد: القليل. والآية بالنظر إلى نفسها كالمثل العامّ المضروب لتترتّب الأعمال الصالحة والآثار الحسنة على الذوات الطيّبة الكريمة كخِلافها على خِلافها، كما تقدّم في قوله: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}[1]. لكنّها بانضمامها إلى الآية السابقة تفيد أنّ الناس وإن اختلفوا في قبول الرحمة فالاختلاف من قِبَلهم، والرحمة الإلهيّة عامّة مطلقة.

قال صاحب العلّامة في البحث الروائي:

وفي «الكافي» بإسناده عن ميسر، عن أبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام قال: قلت: قول الله عزّ وجلّ:

---

[1] {وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}: الأعراف: ٧، من السورة ٢٩، الآية.

قال: قال: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}[1]

«يَا مَيْسَرُ! إِنَّ الأَرْضَ كانَتْ فَاسِدَةً فَأَحْيَاهَا اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِنَبِيِّهِ، ولَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا».

وفي «الدرّ المنثور»، أخرج أحمد، والبخاريّ، والنسائيّ، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم:

«مَثَلُ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصَابَ أرْضاً فَكَانَتْ مِنْهَا بَقَيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأنْبَتَتِ الكَلَاءَ والعُشْبَ الكَثِيرَ. وكَانَتْ مِنْهَا أجَادِبُ أمْسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وسَقَوا وزَرَعُوا. وأصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً اخرى إنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ولَا تُنْبِتُ كَلَاءً. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللهِ ونَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وعَلَّمَ؛ ومَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأساً ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي ارْسِلْتُ بِهِ».[2]

---

[1]. الأعراف: ٥٦، من الآية ٧ من السورة.

[2]. ج٨، ص ١٦٤ و ١٦٥ و ١٧٧ و ١٧٨. تفسير الميزان، آقا رضي القزويني.

البلد الطيّب هو عالم النبيّ والإمام هو هدايتهما

أجل، إن تفسير البلد الطيّب بعالم النبيّ والإمام وهدايتهما، وتفسير إصلاح الأرض بعد مجيء الرسول والإمام وأمثالهما ليسا من المعاني التأويليّة للآيات المباركة، بل مفاد العمل بظهور المعاني الظاهريّة للقرآن الكريم وبيانها، إذ إنّ معنى الأرض الصالحة المستعدّة ومفاد الإفساد في الأرض بعد إصلاحها يتيسّران للإنسان ويتبادران إلى الذهن في أوّل وهلة، ولا حاجة إلى جرّ المعنى الظاهر إلى الباطن واستخراج التأويل.

إنّ وجود الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين أرضٌ فسيحةٌ شاسعةٌ من العلم والعقل والدراية واللطنة والهداية، يخرج فيها نباتٌ طيّبٌ حَسَن، فيُحفّ الدين بثمارٍ حلوةٍ يانعةٍ نافعةٍ، وفواكهُ ثمينةٍ وأدويةٍ وعقاقير لمعالجة الأمراض ورفع العلل والأسقام. ولا فائدة للعالم البشريّ والمجتمع الإنسانيّ من وجود المخالفين والمعاندين والمكابرين. ذلك أنّ الأئمّة المعصومين

بعيدون عن الهوى والتغطرس وحُبّ الذات والدعوة إلى النفس وجعلها محوراً. فما عندهم يترشّح من نفوسٍ طاهرةٍ صفيّةٍ زكيّةٍ متّصلةٍ بعالم النور والتجرّد والعرفان الإلهيّ والتوحيد الربوبيّ. ومن الواضح أنّ الظُّلمة لا تترشّح من النور، والقُبح لا يُولَد من الحُسن، والخبيث لا يخرج من الطيّب. أي: لا يسري من الله تعالى وأصفيائه المخلصين إلى العالم الخارجيّ إلّا العلم الحقيقيّ اللدُنّيّ الخالد الثابت الأصيل.

الإمام الصادق عليه السلام النموذج المثالي للبلد الطيِّب

إنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام من تلك النبتة الفريدة التي نمت في أرض التوحيد الطيّبة. ولم تنفح آثاره العلميّة الهادية الشيعة فحسب، بل نفحت الأجيال البشريّة بمرّتها، ولم تُظَلِّل المدينة المنوّرة وحدها بل ظَلَّلت العالَم بأسره، ولم تقتصر على عصر واحد فقط، بل هي للعصور كلّها خالدةً إلى الأبد.

ولِمَ ذاك؟ ذاك لأنّه عليه السلام معصوم، ولكلّ معصوم أبديّة كأبديّة القرآن الكريم ذي العصمة. ولكلمة

ً كلّ فقيهٍ وفتواه وحكمه ورأيه حجّيّةً في حياته اعتبارا
الله الشيخ الطوسيّ والعلّامة الحلّيّ حتى آية
الله الحكيم ومن شابههم، بَيدَ أنّ تلك
الحجّيّة تسقط بموت هؤلاء الفقهاء، إذ إنّهم غير
معصومين، وعلى الناس أن يقلّدوا المجتهد الحيّ الأعلم
الجامع للشرائط، أمّا الآيات القرآنيّة الكريمة، والسنّة
النبويّة الثابتة، والسيرة الإماميّة المسلّم بها فهي حُجّةٌ
إلى يوم القيامة.

قال آية الله السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ رفع
الله رتبته في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام: وجعفر
بن محمّد هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمّد
الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات
الله عليهم.

إلى أن قال: قال الشيخ المفيد: لم ينقل العلماء عن أحدٍ
من أهل بيته مثل ما نُقل عنه من العلوم والآثار، فإنّ
أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات

فالآتعبرة أو ناكفت لالقاو لاءارآلا يفهم فلاتخا على رجل.

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعيّ: أمّا تقاعُدُه عن الصلاة في الجماعة، وتخلّفُه عن الصفوف المقدّمة، حتى أنّ من كثرة عدوله عن الطريق المستقيم لا يقف على الصفّ الأول إلّا نادرًا، فهو من الأحكام التي تستوجب الوقوف عندها، والعلوم التي تستدعي الكشف عنها.[1]

قال الذهبيّ في «الكاشف»[2]: ما رأيتُ فيه ما يخدش في العدالة. وقد خدشني له من الهيبة ما لم أقف منه على الزور.

---

[1] وردت هذه المطالب عينها في كتاب «مطالب السؤول» ص ١٨، الطبعة الحجريّة الرحليّة. قال الشيخ عبّاس القمّيّ في كتاب «الكنى والألقاب» ج ١، ص ٣٣٢: هو كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعيّ المعروف بابن طلحة. له «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول»، و«العقد الفريد للملك السعيد». توفّي بحلب سنة ٦٥٢ هـ.

[2] «الكاشف» ج ١، ص ١٨٦. في «الكُنى والألقاب» ج ٢، ص ٢٣٨: هو محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ. وُلد بدمشق سنة ٦٧٣ هـ، وطلب الحديث، ورحل في طلبه إلى مصر حتى رجع استاذاً فيه. وأكثرَ من التصنيف في تاريخ الرجال، منها: «تذكرة الحفّاظ»، و«ميزان الاعتدال»، و«تجريد أسماء الصحابة». تُوفّي سنة ٧٤٨ هـ.

وعن عمرو بن أبي المقدام، قال: كنتُ إذا نظرتُ إلى

جعفر بن محمّد علمتُ أنّه من سلالة النبيّين.

وعن صالح بن الأسود، قال: سمعتُ جعفر بن محمّد

يقول: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَإِنَّهُ لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي بِمِثْلِ حَدِيثِي».[1]

قال العلّامة الجليل الشيخ محمّد حسين المظفّر:

«وما كان فقهاء الشيعة عيالًا عليه فحسب، بل أخذ كثير من فقهاء السُّنّة الذين عاصروه الفقه عنه، أمثال مالك، وأبي حنيفة، والسُّفيانَيْن (سفيان الثوري، وسفيان ابن عُيَيْنة)، وأيّوب، وغيرهم، كما ستعرفه في بابه، بل إن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» (ج ١، ص ٦) أرجَعَ فقه المذاهب الأربعة إليه.

---

[1] «رياض السالكين» ص ٨، الطبعة الحجريّة؛ وفي طبعة جماعة المدرّسين بقم: ج ١، ص ٧١ إلى ٧٣. ومصدر الحديث الأخير «كشف الغُمّة» ج ٢، ص ١٥٥.

[1]«ةيرشعينثلاا ةفحتُلا رصتخم» يفّيسولآا اذهو

:لوقي ٨ ص

---

[1] من الحري بالعلم أنّ علماء السُّنّة في الهند ألّفوا كتباً باللغة الفارسيّة في نهاية القرن الثاني عشر الهجريّ فبادر علماء الشيعة فيها إلى ردّها والجواب عنها باللغةِ نفسها، وكشفوا بطلانها بإفاداتهم العلميّة وبحوثهم الدقيقة العميقة، وبدّدوا رماد تلك التُهم الملصقة بالشيعة. ومن هذه الكتب «منتهى الكلام» المعنون بـ «تنبيهات أهل الخوض لاعتراضهم على حديث الحوض» الذي طُبع سنة ١٢٥٠ هـ مرّةً، وأُعيد طبعه سنة ١٢٨٢ هـ مرّةً أُخرى، ومؤلّفه هو حيدر على فيض آباديّ. ومنها: «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» تصنيف شاه وليّ الله الدهلويّ (المولود سنة ١١١٤ هـ والمتوفّي سنة ١١٧٦ هـ كما ذكر الآلوسيّ في مقدّمته على كتاب «مختصر التحفة الاثني عشريّة» (ص: ي ب)، طُبع هذا الكتاب لأوّل مرّة في لاهور، باكستان سنة ١٣٩٦ هـ. ومنها: «التحفة الاثني عشريّة» تصنيف نجل المذكور شاه عبد العزيز الدهلويّ (ولادته سنة ١١٥٩ هـ، ووفاته سنة ١٢٣٩ هـ كما أورد الآلوسيّ في كتابه المارّ ذكره، (ص: ي ب). كانت طبعته الثالثة في لاهور أيضاً سنة ١٣٩٦ هـ، سمّاه مؤلّفه في ديباجته «نصيحة المؤمنين وفضيحة الشياطين». وقال أيضاً: سبب تسميته بـ «التحفة الاثنا عشريّة» هو تأليفه في نهاية القرن الثاني عشر، واحتوائه على جميع مطالب الشيعة خلال هذه القرون الاثني عشر، مع الردود عليها.
أجل، ما إن طُبعت هذه المخطوطات بالهند حتى بادر سماحة السيّد محمّد قلي الموسويّ النيسابوريّ الهنديّ إلى جوابها جواباً مُفحماً مدهشاً من خلال تصنيفه كتاب «الأجناد الاثنا عشريّة المحمّديّة في ردّ التحفة الاثني عشريّة الدهلويّة».
يلق دّمحم نب نيسح دماح ريم دّيسلا ّيناّبرلا لجرلا اذه لجن ماق ّمث ةّمئلأا بقانم يف راونلأا تاقبط باتك فيلأتب ّيروتنكلا ّيروباسينلا

.ارّيحمً ابيجعً ادر اهيلعً ادار«راهطلأا

وننقل فيما يأتي موجزاً ومنتخَباً لما ذكره العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ في كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» حول هذين الرجلَين الباحثَين العظيمَين الجليلَين. قال في ج ٤، ص ١٩٢ و١٩٣ من هذه الموسوعة تحت الرقم ٩٥٨: «تشييد المطاعن لكشف الضغائن» هو بجميع أجزائه الآتية ثامن مجلّدات «الأجناد الاثنا عشريّة المحمّديّة في ردّ التحفة الاثني عشريّة الدهلويّة» المرتّبة على اثني عشر باباً في الردّ على الإماميّة. والتشييد هذا ردّ على خصوص الباب العاشر من «التحفة» الذي هو في دفع المطاعن، وردّ الباب الأوّل منه الذي هو في حدوث فرق الشيعة اسمه «السيف الناصريّ». وردّ الباب الثاني منه الذي هو في نسبة المكائد إلى الشيعة اسمه «تقليب المكائد»، وردّ الباب السابع منه الذي هو في الإمامة اسمه «برهان السعادة»، وردّ الباب الحادي عشر منه الذي هو في الأوهام والتعصّبات

رختفي نكا ةّنسلا لهأ نيب وهو ةفينح وبأ اذهو

.نُامْعُّنلا كَلَهَ نِاَتَنَّسلا لَاوَلَ:نساحلصفأبولقيو

رفعجم الإمام الصادق عليه السلام

[1].مذخلأا لعلم

مهُلعم «ةيملعلا ةيحتلا» نوعدت ًاضيأ لقو

إلهامي». قال في شرحه: لا فضيلة كالعلم، فإنّ به حياة

لوعو ءرملا ةهابنه بو، اهولخو اهّيقرو اهتداعسو مُلأا

.مقامه شرفذ سفنه

والهفوات اسمه «مصارع الأفهام». كلّ هذه الكتب من مجلّدات كتاب «الأجناد» باللغة الفارسيّة مطبوعة بالهند... وجميع هذه الكتب من تأليفات العلّامة السيّد محمّد قلي بن السيّد محمّد حسين ابن حامد حسين بن زين العابدين الموسويّ النيسابوريّ الكنتوريّ المولود في ١١٨٨ والمتوفّي في تاسع المحرّم ١٢٦٠، ترجمه مفصّلًا في آخر «نجوم السماء». وعلى «التحفة» ردود اخرى أيضا كـ «العبقات»، و«النزهة الاثني عشريّة»، وغيرها.

[1] «الإمام الصادق» ج ١، ص ١٤٣، طبعة جماعة المدرّسين بقم. من الجدير بالذكر أنّ هذه العبارة موجودة في «مختصر التحفة الاثني عشريّة» ص ٨، ط ٢، القاهرة، سنة ١٣٨٧، بَيدَ أنّ هذه العبارة التي حكاها الآلوسيّ هي من إنشاء الآلوسيّ نفسه، لا من إنشاء صاحب «التحفة» شاه عبد العزيز الدهلويّ، والعبارة هي: وهذا أبوحنيفة رضي الله تعالى عنه وهُوَ هُوَ بَين أهل السنّة كان يفتخر ويقول... إلى آخره. وعبارة عبد العزيز في «التحفة» ص ٤٦ هي: نعم، ذكر الإمام الشافعيّ فضائل من أدرك من أهل البيت. ولا يقتصر هذا عليه، فجميع أهل السنّة يذكرونها. ورواية الحديث عن أئمّة أهل البيت كثيرة في كتب السنّة. وسمّوا سلسلة الآباء من أهل البيت «سلسلة الذهب».

ولا غرابة لو كان العلم أفضل من العبادة أضعافاً مضاعفة. لأنّ العابد صالح على طريق نجاة قد استخلص نفسه فحسب، ولكن العالم مصلح يستطيع أن يستخرج عوالم كبيرة من غياهب الضلال، وصالح في نفسه أيضاً، وقد فتح عينيه في طريقه. ومَن فتح عينه أبصر الطريق.

وليس في الفضائل ما يصلح الناس وينفعهم ويبقى أثره في الوجود مثل العلم، فإنّ العبادة والشجاعة والكرم وغيرها إذا نفعت الناس فإنّما نفعها مادام صاحبها في الوجود، وليس له بعد الموت إلّا حسن الأحدوثة.

ولكن العالم يبقى نفعه مادام علمه باقياً، وأثره خالداً.

وقد جاء في السُنّة الثناء العاطر على العلم وأهله، كما جاء في الكتاب آياتٌ جمّة في مدحه وممدح ذويه. وهذا أمر مفروغ عنه، لا يحتاج إلى استشهاد واستدلال.

نعم، إنّما الحقّ في أنّ هذا الثناء خاصّ بالعلم الديني وعلمائه، أو عامّ لكلّ علم وعالم؟!

أعتقد بشكل قاطع أنّه مختصّ بعلم الدين وعلمائه.

والأحاديث قد صرّحت به. وكفى من الكتاب قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}.[1]

وقد لا تجد خشيةً عند علماء الصنعة وما سواهم غير علماء الدين، بل إن بعضهم قد لا تجده يعترف باللوجود أو باللوحدانيّة.

وما استحقّ علماء الدين هذا الثناء إلّا لأنّهم يريدون الخير للناس ويسعون له ما وجدوا إليه سبيلًا. ومتى كانوا وجدتَهم أدلّاءَ مرشدين هادةً منقذين.

وعلم الدين إلهاميّ وكسبيّ. والكسبيّ يقع فيه الخطأ والصواب والصحيح والغلط. وغلط العالم وخطؤه يعود على العالم كلّه بالخطأ والغلط، لأنّ الناس أتباع العلماء في الأحكام والحلال والحرام، والله جلّ شأنه لا يُريد للناس إلّا العمل بالشريعة التي أنزلها، والأحكام التي شرّعها. فلا بدّ من أن يكون في الناس عالم لا يُخطئ ولا يغلط، ولا يسهو ولا ينسى، ليرشد الناس إلى تلك

---

[1] فاطر: ٣٥، من السورة ٢٨ من الآية.

الشريعة المنزلة منه جلّ شأنه، والأحكام المشرّعة من لدنه سبحانه، فلا تقع الأمّة في أشراك الأخطاء وحبائل الأغلاط، ولا يكون ذلك إلّا إذا كان علم العالم وحياً أو إلهاماً.

حقيقة علم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام

فمن هنا كان حتماً أن يكون علم الأنبياء وأوصيائهم من العلم الإلهي الوحياني أو الإلهامي الصوناً لهم ولأُممهم من الوقوع في المخالفة خطأً.

والله تعالى قد أنزل شريعة واحدة لا شرائع، وفي كلّ قضيّة حكماً لا أحكاماً، ونصب لأُمّة في كلّ زمن مرشداً لا مرشدين. ونجدها اليوم شرائع ولها مشرّعون لا شريعة واحدة ومشرّعاً واحداً. ونرى في كلّ قضيّة أحكاماً لا حكماً واحداً. وفي كلّ زمن مرشدين متخالفين متناقضين، بل يكفّر بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من بعض لا مرشداً واحداً. وليس هذا ما جاء به المصلح الأكبر رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولا ما أراده لأُمّته.

فلا غرابة لو حكم العقل بأنّ الواجب عليه سبحانه أن ينصب في كلّ فترة زمنيّة عالماً يدلّ الناس على الشريعة كما جاءت، ويأتيهم بالأحكام كما نزلت. وهل يجوز ذلك على أحد سوى عليّ وبنيه؟

وهذه آثارهم العلميّة بين يديك فاستقرئها لعلّك تجد على النور هدىً. ولو لم يكن لدينا أثر أو دليل إلّا قوله صلّى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»[1] وقوله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[2]، لكفى في كون أهل البيت علماء الشريعة والكتاب الذين أخذوا العلم من معدنه، واستقوه من ينبوعه. ولو كان علمهم بالاكتساب لما جعلهم الرسول علماء الكتاب على طول الدهر دون الناس. وما الذي ميّزهم على الناس إذا كانوا والناس في العلم سواء؟!

---

[1] الخطيب في «تاريخ بغداد» ج ٢، ص ٣٧٧؛ والملّا عليّ المتّقي الهندي في «كنز العمّال» ج ٦، ص ١٥٦.

[2] «مسند أحمد بن حنبل» ج ٤، ص ٣٦٦؛ و«صحيح الترمذي» ج ٢، ص ٣٠٨.

ممما يستدعي الانتباه أنّ الناس كانوا محتاجين إلى علمهم أبداً. وكلّما رجعوا إليهم في أمر وجدوا علمه عندهم، وما احتاجوا هم إلى علم الناس أبداً.

ولا نريد أن نلمس كل هذه الحقيقة بالأخبار دون الآثار، فإنّ في الآثار ما به غنى للبصر. وهذه آثارهم شاهدةٌ على صِدق ما ادّعوه وادّعي فيهم. وأمرٌ حقيقٌ أن تنتبه إليه، وهو أنّ الجواد عليه السلام انتهت إليه الإمامة وهو ابن سبع، ونهض بأعبائها، وقام بما قام به آباؤه من التعليم والإرشاد، وأخذ منه العلماء خاضعين مستفيدين. وما وجدتَ فيه نقصاً عن علوم آبائه.

وهذا عليّ بن جعفر شيخ العلويّين في عهده سنّاً وفضلًا، إذا أقبل الجواد يقوم فيقبّل يده، وإذا خرج يسوّي له نعله. وسُئِلَ عن الناطق بعد الرضا عليه السلام، فقال: أبو جعفر ابنه! فقيل له: أنْتَ في سِنِّكَ وقَدْرِكَ وأبوكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ تَقُولُ في هَذَا الغُلَامِ؟! فقال: مَا أرَاكَ إلَّا

شَيْطَاناً، ثُمَّ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وقَالَ: فَمَا حِيلَتِي إن كَانَ اللهُ رَآهُ أَهْلًا ولَمْ يَرَ هَذِهِ الشيْبَةَ لَهَا أَهْلًا؟»[1].

علماً أنّ علي بن جعفر هو أخو الإمام الكاظم عليه السلام، والإمام الكاظم هو جدّ الإمام الجواد عليهما السلام. فماذا تريد بينهما من السنّ؟ وعلي أخذ العلم من أبيه الصادق، وأخيه الكاظم، وابن أخيه الرضا عليهم السلام. فلو كان علمهم بالتحصيل لكان علي أكثر من الجواد تحصيلاً، أو لو كانت الإمامة بالسنّ لكان علي أكبر العلويّين سنّاً.

على أنّ الجواد قد فارقه أبوه ويوم سافر إلى خراسان هو ابن خمس.

فمن الذي كان يؤدّبه ويثقّفه بعد أبيه حتى جعله بتلك المنزلة العلية لو كان ما عندهم عن تعلّم وتأدّب؟! ولمَ لا يكون المعلّم والمثقِّف هو صاحب المنزلة دونه؟! ولِمَ لَمْ يُقِلِ الجواد؟!

---

[1] رواه الصفّار في بصائر الدرجات، ص ١٣٤، ج ١. [المؤلف]

أجل، توفّي الجواد وهو ابن خمس وعشرين سنةً.

وأنت تعلم أنّ ابن هذا السنّ لم يبلغ شيئاً من العلم ولو أنفق عمره هذا كلّه في طلبه، فكيف يكون عالم الأُمّة ومرشدها، ومعلّم العلماء ومثقِّفهم، وقد رجعت إليه الشيعة وعلماؤها من يوم وفاة أبيه الرضا عليه السلام؟

وهكذا الحال في ابنه عليّ الهاديّ عليه السلام. فقد قضى الجواد، وابنه الهاديّ ابن ستّ أو ثمان. فمن الذي ثقّفه وجعله بذلك المحلّ الأرفع؟ وكيف رجعت إليه العلماء والشيعة وهو ابن هذا السنّ؟ وماذا يُحسن مَن كان هذا عُمره لو كان عِلمه بالاكتساب؟

فالصادق ـ كسائر الأئمّة ـ لم يكن علمه كسبيّاً وأخذاً من أفواه الرجال ومُدارستهم. ولو كان كذلك، فممّن أخذ وعلى يد مَن تخرّج؟ وليس في تأريخ واحد من الأئمّة عليهم السلام أنّه تتلمذ أو قرأ على واحد من الناس حتى في سنّ الطفولة. فلم يُذكر في تأريخ طفولتهم أنّهم دخلوا

الكتاتيب[1] أو تعلّموا القرآن على المقرئين كسائر الأطفال من الناس. فما علم الإمام إلّا وراثةً عن أبيه، عن جدّه، عن الرسول، عن جبرئيل، عن الجليل تعالى. وسنُشير إلى بعض آثاره العلميّة وإلى تعليمه لتلامذته. وما سواها مما هو داخلٌ في حياته العلميّة.

[ملاحظة: انتخب هذا البحث من كتاب معرفة الإمام ج ١٨، تأليف المرحوم العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ رضوان الله عليه، وقد تمّ تنقيحه ومقارنته مع المصدر الفارسي من قبل الهيئة العلميّة في لجنة الترجمة والتحقيق، وتجدر الإشارة إلى أنّ العبارات والهوامش التي وقعت بين معقوفتين هي من الهيئة العلميّة]

[1] للكتاتيب معنيان: أحدهما جمع كتّاب، وكتّاب جمع كاتب، فهو جمع الجمع. والآخر مكان التعليم بصيغة كتّاب وجمعه كتاتيب.